العرب
الأحد 2019/09/01
السنة 42 العدد 11454

التسوق في المحلات القديمة فسحة ساحرة لسائح دبي

جولات في عالم عطر الشرق والسجاد اليدوي والحلي النفيس

في دبي تتواصل الحداثة بالتراث دون فواصل أو مسافات فما بين المعمار الحديث من فنادق وأبراج ومولات والأسواق العتيقة جولة على القدمين، يدخل بعدها السائح في عالم الشرق الساحر ببخوره وسجاده ومجوهراته.

دبي - تعتبر دبي واحدة من الوجهات السياحية المفضلة على خارطة السياحة العالمية، حيث لا تقتصر مناطق الجذب الرئيسية في دبي على الشواطئ ذات المناظر الخلابة ورحلات السفاري الصحراوية الساحرة والمعالم المعمارية الحديثة كالمولات فحسب، بل تشمل أيضا خيارات التسوق التي تشكل واحدة من أكثر التجارب الجاذبة للسياح والزوار عبر أسواقها التقليدية وأجوائها الشعبية التي تعكس عراقة هذا البلد وتقدم ما بين تصاميم أسواقها الاستثنائية بحواريها وأزقتها المتقاربة، روائح البخور والعطور وألوان التوابل والأقمشة المنسوجة، وصولا إلى خيوط السجاد، لذا فإن القيام بجولة في أحد الأسواق القديمة في المدينة يعد تجربة مهمة للسياح وزوار دبي.

> في سوق التوابل تجتمع ثقافات وجنسيات مختلفة تكاد تعكسها طبيعة التوابل ونكهاتها وروائحها التي تعبق في فضاء المكان

وعند زيارة سوق نايف الذي يعد الأقدم بين أسواق دبي الشعبية كافة، يجد السائح نفسه في قلب سوق متعدد الثقافات يضم أكثر من 100 محل تطرح منتجات متنوعة للزوار مثل الإلكترونيات والهدايا التذكارية والعباءات والجلابيب التراثية والبضائع الجلدية وجميع مستلزمات الحياة بأقل الأسعار وبجودة عالية، حيث يعج هذا السوق بحركة يومية دائبة تأبى أن تتوقف إلا في ساعة متأخرة من الليل طوال أيام الأسبوع.

وعندما يفكر السائح في رحلة إلى دبي، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه هو التطور العمراني والاقتصادي والتكنولوجي المتمثل بأبراجها الشاهقة ومنتجعاتها غير التقليدية وربما سياراتها الفارهة، ولكن هذا فقط غيض من فيض، حيث تفوح فيها أيضا روائح زكية ونكهات مختلفة من مئات الأصناف من التوابل في "سوق التوابل" الكبير في منطقة ديرة في دبي.

ويعد هذا السوق الذي يطل على البحر مباشرة، مقصدا شعبيا معروفا لدى السياح والزوار نظرا لاحتضانه جميع أنواع وروائح التوابل والبهارات والأعشاب والأرز والفاكهة، عدا عن منتجات الزعفران والتمر والفاكهة المجففة والمكسرات والشاي والبخور المستورد من مختلف دول الشرق الأوسط، ويمثل نقطة جذب للسياح يستنشقون عبر أزقته عبير الماضي وخيوط التجارة العربية قديما.

الوهج الخاص لسوق التوابل وتمازجه الثقافي، يغري السياح وزوار المدينة على الدوام، إضافة إلى طريقة تصميمه وبنائه التراثي، حيث المحال التجارية مغطاة بدعائم خشبية مصنوعة من سعف النخيل، وتجتمع تحت سقفه ثقافات وجنسيات مختلفة، تكاد تعكسها طبيعة التوابل ونكهاتها وروائحها التي تعبق في فضاء المكان، وتعتبر زيارة سوق التوابل فرصة مثالية أمام السياح والزوار لاستكشاف العديد من الأسواق الشعبية الأخرى القريبة حيث ترسو السفن على ضفة الخور المحاذي قبل أن تنقل البضائع إلى المحال التجارية.

ومع بريق اللآلئ والمجوهرات وغموض الأحجار الكريمة وإبداع التصاميم الذهبية، تحظى دبي ومنذ القدم بحضارة عريقة وتراث زاخر بالكنوز البديعة من المجوهرات والذهب والأحجار الكريمة، حيث تم الاكتشاف في مواقعها الأثرية على مشغولات ذهبية ونحاسية وخيوط الذهب المستخلصة قبل الصناعة، إلى جانب قطع ذهبية منقوشة أبدعتها حضارة إماراتية، ما يؤكد أن دبي قديما كانت سوقا صناعيا مهما للذهب، كما هو الحاضر عبر موقعها الجغرافي المؤثر وسوقها الشهير "سوق الذهب" الذي يمثل نقطة التقاء تجمع بين عشاق المعدن الأصفر، ويستقطب الزائرين من جميع أقطار العالم بما يتيح لهم الاختيار بين مختلف أنواع الحلي النفيسة والمشغولات الذهبية النادرة في عروض ترويجية تستقطب المتسوقين والزائرين والسياح إلى محلاته العريقة لاقتناص الفرص الثمينة والتمتع برؤية الجواهر المزدانة والمتلألئة على واجهاتها في منظر آسر للقلوب.

ويُعد "سوق الذهب" الواقع في منطقة ديرة ببر دبي، مقابل ميناء راشد، الأكثر أهمية ونفضيلا بين الأسواق الموجودة في دبي، ويضم متاجر كبيرة تقدم تشكيلات واسعة من المشغولات المختلفة بأسعار مناسبة وبكميات كبيرة ومتنوعة مثل السبائك الذهبية والأساور والأطواق والخواتم والماس وأحجار الزمرد والياقوت واللؤلؤ وغيرها الكثير التي يتم استيرادها من مختلف بقاع العالم، كما يحتضن السوق أيضا العديد من أشهر محال المجوهرات من جميع أنحاء العالم تحت سقف واحد، مما حوله لإحدى أبرز الوجهات السياحية والتجارية لمحبي اقتناء الذهب حول العالم.

وتعد صناعة السجاد من الصناعات الزاخرة بأسرار الفنون الثقافية التي تحمل هوية الشعوب، حيث تجذب زخارف ورسومات هذه الصناعة وخيوطها المصنوعة من الصوف والحرير سياح دبي وزوار المدينة الذين يقصدون السوق الذي يوفر نماذج عصرية وطرزا يدوية متداخلة الألوان، مكنت دبي من كسب مكانة مميزة تحولت من خلالها إلى نقطة محورية في الصناعة والاستيراد والتصدير، وتحتل المركز الأول على مستوى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث يتسوق الكثير من السياح في "سوق دبي للسجاد" بحثا عن السجاد الجيد وتحديدا المصنوع يدويا مع رسومات وزخارف إسلامية مثل "كرمان" و"التبريز" و"قاشان" و"الروي" و"أحمدي" و"قزمين"، المتوفرة بأسعار تنافسية وزهيدة للغاية.

ويعتبر سوق مرشد من أجمل وأهم المعالم السياحية الشعبية في مدينة دبي، كما أنه يعتبر أيضا من أكبر وأقدم الأسواق التقليدية الشهيرة، ويحتوي على أكبر المتاجر الخاصة لبيع المنتجات بالجملة والمفردة بما في ذلك أكبر أسواق العطور والبخور والدهون العطرية المختلفة.

وإذا ما أخذنا في الاعتبار ما توصلت إليه دبي اليوم بكونها من أبرز وجهات التسوق بالعالم فسيسهل علينا أن نكتشف أنها أيضا واحدة من أهم أسواق العطور في المنطقة، تتجه إليها سنويا أنظار محبي وجامعي العطور، حيث أن "سوق دبي للعطور" يضمن لزواره العثور على أنواعهم المفضلة ليخوضوا في هذا السوق تجربة استثنائية بين مختلف أنواع العطور بداية من الأكثر شهرة بالعالم وصولا إلى العطور المحلية الصنع بدبي والمصنعة على يد الخبراء ومبتكري العطور، ولأن الشرق الأوسط يتميز بطابعه العربي الأصيل حتى في الروائح، يمثل العطر جزءا مهما من الثقافة العربية، ويعد العود واحدا من أهم العطور العربية الأكثر تفضيلا بين الآلاف من أنواع العطور المتوافرة.

وميزة أخرى يتميز بها سوق العطور الواقع بالقرب من سوق الذهب والتوابل، أنه يتيح لزواره فرصة صناعة عطرهم المفضل واستشارة أصحاب المتاجر بالسوق حول ما قد لا يتلاءم مع شخصيتهم، حيث يقدمون للسياح والزوار أنسب العطور التي تتناسب مع أذواقهم الخاصة، بدءا من العطور النقية مرورا بالزيوت الأساسية والبخور والعود التقليدي ذائع الصيت.

ولا يختلف اثنان على أن دبي هي مدينة التنوع بامتياز، وهذا ما يمكن ملاحظته في بعض النواحي الظاهرة منها عبر أسواقها التقليدية التي تكشف عن وجه دبي الأصيل، حيث تتجسد الثقافة الإماراتية الأصيلة، ويطل التراث برأسه من بين ثنايا المحال التجارية التي يمكنها أن تمنح زوارها تجربة أخرى، لاسيما عندما يدور الحديث عن أسواق الذهب والعطور والتوابل والأقمشة، التي تقع على الجانب الآخر من خور دبي، الذي طالما مثل ولا يزال شريان الحياة في دبي. هذه الأسواق ورغم عمرها المديد لم ترضخ لتحديات الزمن، فأضحت وجهة للسياح والزوار الذين يمرون في دبي وطرقاتها والباحثين عن شيء ما يذكرهم بالماضي.

التجارة العربية القديمة

ألوان التمازج الثقافي بين بلدان الشرق

تمازج المعاصر بالتراثي

المدن الإسبانية تئن تحت وطأة تدفق السياح

مدريد - يعيش أنطونيو بيريز مشكلة الازدحام الناجمة عن السياحة في العاصمة الإسبانية مدريد بكل تفاصيلها. ويقوم بيريز من منزله في حي مالاسانا الراقي الذي يتوق الجميع للسكن فيه، بإصدار مجلة "سوموس مالاسانا" (نحن مالاسانا) الإلكترونية، لكنه يمر بأيام يكون من الصعب خلالها الشعور بالسعادة تجاه مكان عمله.

وقال الصحافي "بالنسبة لبعض السياح، فإن مدريد ليست أكثر من متنزه ترفيهي". وبوصفه من مواليد مدريد، فهو على دراية بالجوانب السلبية للسياحة، إذ قال "هناك بعض الشوارع التي لم أعد أذهب إليها مثل كوريديرا دي سان بابلو وفيونكارال"، مضيفا "إن السبب هو أنها غالبا ما تكون مكتظة بالسياح جدا لدرجة لا يمكن للمرء السير وسطهم".

وبسبب الرحلات الجوية الرخيصة وأسعار المساكن التي في متناول الجميع، يزداد تدفق السياح على العديد من الأماكن الجذابة، أما الأشخاص الذين يعيشون في هذه الأماكن، مثل بيريز، فقد بدأوا يعبرون عن آرائهم بصراحة وعلانية، ويعتقد بيريز أن ازدهار السياحة يؤدي إلى "فقدان الهوية".

والأشخاص الذين عاشوا في الحي لسنوات يرحلون عنه، فالإيجارات ترتفع ويتغير وجه المنطقة بسرعة، فالمنشآت التي تطلق على نفسها اسم حانات تاباس التي تقدم الوجبات الخفيفة والمقبلات مع المشروبات، تنتشر في كل مكان، لكنها ليست حانات تاباس حقيقية فهي فقط هناك لإرضاء السياح.

وأشار بيريز إلى أن السكان المحليين بدأوا في الاستنفار، كما تحتج اتحادات الأحياء المحلية في منطقتي سول وليتراس على الإيجارات السياحية، رافعة شعارات مثل "بيوتنا ليست فنادق".

وحيثما يعيش بيريز، تم إطلاق مبادرة جديدة أطلق عليها سموس مالاسانا (نحن مالاسانا) موجهة إلى السياسيين والعامة، شعارها الرئيسي "ساحاتنا ليست حانات وشوارعنا ليست سلات للنفايات وزوايا شوارعنا ليست مراحيض".

وتدرك عدة مدن في جميع أنحاء أوروبا، مثل أمستردام والبندقية ودوبروفنيك، أن جاذبيتها للسياح يمكن أن تكون نقمة ونعمة في نفس الوقت.

وإسبانيا واحدة من العديد من البلدان التي تجذب أعدادا متزايدة من السياح، ففي عام 2018 وحده توافد على البلاد 82.6 مليون زائر.

وبالنسبة للسائحين، فإن عددهم الهائل يعني أنه يتعين عليهم غالبا الوقوف في طوابير طويلة لرؤية المعالم المحلية الجذابة، ويجب أن يتناولوا طعاما متوسط الجودة في الحانات والمطاعم. وأصبحت برشلونة مشهورة بشكل خاص، حيث أدت الرحلات البحرية إلى ارتفاع كبير في أعداد الزوار.

وأعرب دانيل باردو، وهو خبير تشغيل أجهزة عرض الأفلام السينمائية ومتحدث باسم جمعية المناطق من أجل السياحة المستدامة، عن استيائه إزاء "اكتظاظ الأماكن العامة".

وقال إنه أصبح من المستحيل ببساطة الجلوس بهدوء في ميدان أو على مقعد في متنزه، مشيرا إلى أن السياح لا يبدون اهتماما بمثل هذه الأمور. وأضاف باردو أنها قضية "استغلال المدينة وسكانها من جانب لاعبين اقتصاديين"، متابعا أنه يريد أن يرى خضوع هؤلاء اللاعبين للمساءلة، ويعتقد أنه ينبغي عليهم المساهمة ماليا في تكلفة "التنظيف والسلامة والنقل العام" ودفع "رواتب عادلة" في السياحة، وذكر أن "الربحية العالية" في مجال السياحة يجب خفضها.

كما يلقي باردو (42 عاما) باللائمة على سلطات السياحة في الترويج بلا هوادة لبرشلونة كوجهة لقضاء العطلات، ولجأ إلى محاولة إقناع السياح بعدم القدوم، وقال "المجيء إلى برشلونة ليس فكرة جيدة"، مضيفا "ستجدون أن المدينة مكتظة تماما والجولات السياحية غير جيدة للغاية".

والكثير من الأشخاص مازالوا يرون هذا الأمر من منظور مختلف، ولكن البعض بدأوا يشتكون من برشلونة، فقد ارتفعت الأسعار بشكل كبير، فعلى سبيل المثال، بلغت تكلفة زيارات لبعض المباني الشهيرة التي صممها المهندس المعماري أنتوني جاودي الآن ما يصل إلى 28 دولارا للفرد.

وليست المدن الكبرى فقط هي التي تئن تحت وطأة تدفق السياح، فقد شهدت مدينة بامبلونا شمال إسبانيا ارتفاعا كبيرا في أعداد الزوار.

وبالنسبة للمرشدة السياحية كريستينا دوريا، فإن هذا الوضع يدفعها أحيانا إلى درجة الشعور بالاستياء عندما يتعين عليها التجول في المدينة القديمة مع مجموعة من 50 سائحا يسيرون الواحد وراء الآخر في طابور. وتعيش دوريا أيضا هناك وتقول "لم تتبق لنا مساحة كبيرة".

وفي مدينة كاتالان في إقليم جيرونا، يعاني المرشد السياحي كويم بويرتو من نفس المشكلة. وكان الحل الذي توصل إليه هو خفض مجموعاته إلى "20 ، و25 شخصا كحد أقصى"، غير أن الشركات السياحية لا ترغب في ذلك، نظرا لأن ذلك يعني أنه يتعين عليها تعيين مرشدين اثنين لمجموعات أكبر، الأمر الذي من شأنه أن يرفع تكاليف سعر الرحلة.

> عدد السياح الهائل القادمين إلى أسبانيا يعني أنه يتعين عليهم غالبا الوقوف في طوابير طويلة لرؤية المعالم الجذابة

وللتصدي لمشكلة الاكتظاظ، اتخذت جيرونا بالفعل إجراء واحدا تمثل في منع الحافلات السياحية من دخول البلدة القديمة، ومن ثم يتعين على السياح الآن السير على الأقدام لمدة 15 دقيقة للوصول إلى هناك من أقرب محطة للحافلات.

وهل هذا هو الحل الصحيح؟ وأشار بويرتو إلى أنه قد يكون هناك أيضا أشخاص أكبر سنا وأقل قدرة على التنقل يرغبون في زيارة جيرونا، وقد اضطر مؤخرا إلى نقل سائحين وزنهما كبير للغاية في سيارته إلى المدينة.

زحمة السياح نعمة ونقمة